﴿۞قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [النمل: 27]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:

النَّظرُ في صِدْقِ الخبرِ بعدَ الإخبارِ بهِ

لمّا فرغَ الهُدْهُدُ مِنْ كلامِهِ، وأبدَى عُذْرَهُ في غَيبتِهِ؛ أخَّرَ سليمانُ عليه السلام أمرَهُ إلى أنْ يتبيَّنَ لهُ صِدْقُهُ مِنْ كذبِهِ، فقالَ: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَنَنظُرُ﴾: المعنى المحوريُّ لـ(نظر): تأمُّلُ الشَّيءِ ومعاينتُهُ[2]، والنَّظرُ: تقليبُ البصرِ والبصيرةِ لإدراكِ الشَّيءِ ورؤيتِهِ[3]، وقد يُرادُ بهِ التَّأمُّلُ والفَحْصُ[4]، وقد يُرادُ بهِ المعرفةُ الحاصلةُ بعدَ الفَحْصِ، وهو الرَّويَّةُ، وتقولُ: نظرتُ إلى كذا؛ إذا مددتَ طرفَكَ إليهِ، رأيتَهُ أم لم تَرَهُ، ونظرتُ فيهِ؛ إذا رأيتَهُ وتدبَّرتَهُ[5]، والمرادُ بالنَّظرِ في الآيةِ: نظرُ العقلِ، وهو التَّأمُّلُ[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

خبرُ الهُدْهُدِ مُتأرجِحٌ بينَ الصِّدقِ والكذبِ

قالَ سليمانُ عليه السلام للهُدْهُدِ: سنتأمَّلُ فيما اعتذرتَ بهِ مِنَ العُذْرِ، واحتججتَ بهِ مِنَ الحُجَّةِ لغَيبتِكَ عنّا، وفيما جئتَنا بهِ مِنَ الخبرِ، أصدقتَ في ذلكَ كلِّهِ أم كنتَ مِنَ الكاذبينَ فيهِ[7].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآيةِ عمّا قبلَها:

قوله تعالى: ﴿۞قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ واقعٌ

أظهرَ الهدهدُ عذْرَهُ، فأمهلَه سليمانُ عليه السلام

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 257، وأبو حيان، البحر المحيط: 8/ 232.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نظر).
(3) الراغب، المفردات: (نظر).
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 363، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 159.
(5) الراغب، المفردات: (نظر).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 256.
(7) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 450.

موقعَ الجواب عن سؤالٍ مقدَّر نشأَ مِنْ حكايةِ كلامِ الهُدْهُدِ[1]، حين ذكر حالَ بلقيسَ وقومها، وسجودَهُم للشمس من دون الله تعالى، ثم ذكر عرشها وعظمتَهُ، ففُصِلَتِ الآيةُ عمّا قبلَها؛ لأنَّها استئنافٌ وقعَ جوابًا، كأنَّهُ قيلَ: فماذا فعلَ سليمانُ عليه السلام عندَ ذلكَ؟ فقيلَ: ﴿*قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾، فيكونُ الفصلُ لشِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ.

دلالةُ السّينِ في ﴿سَنَنظُرُ﴾:

السّينُ في قولِهِ تعالى: ﴿*قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ للتَّأكيدِ، أي: سنتعرَّفُ بالتَّجربةِ البتَّةَ[2]، والأصلُ فيها الدَّلالةُ على الاستقبالِ، ودلَّتْ هنا على أنَّ الأمرَ المهمَّ لا يُعاجَلُ على فَوْرِهِ، وبناءً على ذلكَ يجوزُ أنْ تكونَ للتَّأكيدِ والاستقبالِ[3].

مِنْ تمامِ التَّدبُّرِ عدمُ التَّعجُّلِ

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿سَنَنظُرُ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِ اللهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ﴾؛ لأنَّ حصولَ النَّظرِ مِنْ سليمانَ عليه السلام - وهو هنا بمعنى التَّأمُّلِ - أمرٌ يكونُ في المستقبلِ بعدَ سماعِهِ خبرَ الهُدْهُدِ، فجيءَ بالصّيغةِ؛ للدلالة على أنَّ سليمان لم يقبل منه كلامه، وإنَّما وجَّه إلى ضرورة التأكُّد؛ لما في ذلك من إدْخالِ الرَّوْعِ عَلَيْهِ بِأَنَّ كَذِبَهُ أَرْجَحُ عِنْدَ المَلِكِ؛ ليَكونَ الهُدْهُدُ مُغَلِّبًا الخَوْفَ عَلَى الرَّجاءِ، وذلك أَدخلُ في التَّأديبِ عَلَى مثلِ فعلَتِهِ.

صِدقُ الأخبارِ مبنيٌ على وسائلِ إثباتِها

نكتةُ التَّعبيرِ بنونِ العظَمةِ في ﴿سَنَنظُرُ﴾:

النّونُ في قولِهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿سَنَنظُرُ﴾ لسليمانَ عليه السلام ومَنْ يتدبَّرُ، ويتأمَّلُ معَهُ، أو لهُ وحدَهُ، وقد عبَّرَ بنونِ الجمعِ؛ إعظامًا لِما أعطاهُ

احتمالُ نسبةِ الفعلِ لهُ ولِمَنْ معَهُ، أو لهُ وحدَهُ على سبيلِ التَّعظيمِ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 282، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 188.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 282، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 188.
(3) أطفيش، تفسير أطفيش: 7/ 289.

اللَّهُ لا لنفسِهِ[1]، ويحتملُ أنْ تكونَ النّونُ لإعظامِ نفسِهِ؛ جَرْيًا على عادةِ المُلوكِ في قولِهم مثلًا: (نأمرُ بكذا).

دلالةُ جملةِ الاستفهامِ:

الجملةُ الاستفهاميَّةُ في قولِهِ تعالى: ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في محلِّ نصبٍ بـ ﴿سَنَنظُرُ﴾؛ لأنَّها مُعلِّقةٌ لها[2]، وفي الإتيانِ بالاستفهامِ ترديدٌ لأمرِ الهُدْهُدِ بينَ الصِّدقِ والكذبِ بعدَ إخبارِهِ بذلكَ الخبرِ العجيبِ، وفيهِ تشويقٌ لمعرفةِ مآلِ الأمرِ بعدَ النَّظرِ فيما جاءَ بهِ، وتلويحٌ للهُدْهُدِ بأنَّهُ سيكونُ محلَّ اختبارٍ.

تـرديـدُ أمـرِ الـهُـدْهُـدِ بـينَ الصِّدقِ والكذبِ

علَّةُ التَّعبيرِ بصيغةِ الماضي في ﴿أَصَدَقْتَ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ اللهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿أَصَدَقْتَ﴾؛ لأنَّ الهُدْهُدَ قد انتهَى مِنَ الإخبارِ بما أخبرَ بهِ، وقد اقترنَ بإخبارِهِ - لا ريبَ - أحدُ احتمالينِ، وهما الصِّدقُ أو الكذبُ، فالسُّؤالُ بصيغةِ الماضي عنِ احتمالِ تحقُّقِ الصِّدقِ ووقوعِهِ منهُ.

الاستفهامُ عن تحقُّقِ الصِّدقِ ووقوعِهِ

معنى ﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ كُنتَ﴾:

تفيدُ ﴿أَمْ﴾ المُتَّصلةُ معَ الهمزةِ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ التَّساويَ بينَ احتمالي الصِّدقِ والكذبِ، ولا يحتملُ كونُها منقطعةً[3]، وفي هذهِ التَّسويةِ تخفيفٌ على الهُدْهُدِ، وإلماحٌ لفتحِ بابِ نجاتِهِ.

صِـدْقُ الـهُـدْهُـدِ وكذبُهُ احتمالانِ مـسـتـويـانِ بحسَبِ الظّاهرِ

غرضُ العُدولِ في قوله: ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (أم كذبتَ)، لكنْ عُدِلَ عنهُ إلى: ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾؛ لأنَّهُ أبلغُ مِنْ وجوهٍ، منها: أنَّ إقحامَ ﴿كُنتَ﴾ أدخلُ في نسبتِهِ إلى الكذبِ مِنْ صيغةِ ﴿أَصَدَقْتَ﴾؛ لأنَّ قولَهُ: ﴿كُنتَ مِنَ

لا يـجـتـرئ على الـكـذب عـنـد نبيٍّ إلّا من كان عريقًا في الكذب

(1) أطفيش، تفسير أطفيش: 7/ 289.

(2) السمين، الدر المصون: 8/ 606.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 379.

﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ يفيدُ الرُّسوخَ في الوصفِ بأنَّهُ كائنٌ عليه[1]، حتَّى صارَ وصفُ الكذبِ كالجِبِلَّةِ لهُ[2].

ومنها: أنَّ قولَهُ: ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أشدُّ في النِّسبةِ إلى الكذبِ بالانخراطِ في سِلْكِ الكاذبينَ، بأنْ يكونَ الكذبُ عادةً لهُ، فإنَّهُ لا يجترئُ على الكذبِ عندَهُ بما أوتيَ مِنَ النُّبوَّةِ والملكِ إلّا مَنْ كانَ عريقًا في الكذبِ، دونَ (أم كذبتَ)؛ لأنَّ هذا يَصْدُقُ بمرَّةٍ واحدةٍ[3].

وفي ذلكَ إيذانٌ بشدَّةِ تُهْمتِهِ بالكذبِ[4]؛ ليتخلَّصَ مِنَ العقابِ، وإيذانٌ بالتَّوبيخِ والتَّهديدِ وإدخالِ الرَّوْعِ عليهِ، بأنَّ كذبَهُ أرجحُ عندَ سليمانَ عليه السلام؛ ليكونَ الهُدْهُدُ مُغلَّبًا الخوفَ على الرَّجاءِ، وذلكَ أدخلُ في التَّأديبِ على مِثْلِ فِعْلتِهِ، وفي حرصِهِ على تصديقِ نفسِهِ بأنْ يُبلِّغَ الكتابَ الَّذي يُرسَلُ معَهُ[5].

ومنها: أنَّ في العُدولِ إلى: ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ مراعاةً للفواصلِ[6].

ويحتملُ أنْ يكونَ ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ مَيْلًا لهُم وقُرْبًا منهُم، فالنَّبيُّ بفراستِهِ وإلهامِهِ يعلمُ صِدْقَ الهُدْهُدِ مِنْ كذبِهِ؛ لكنَّهُ في موردِ تعليمِ جُندِهِ وضبطِهِم.

معنى ﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾:

التَّبعيضُ يُخفِّفُ وطأةَ التُّهمةِ

﴿مِنَ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ للتَّبعيضِ، والمعنى: أم كنتَ بعضَ الكاذبينَ، وفي هذا التَّبعيضِ ترسيخٌ لحُسْنِ أدبِ الخطابِ النَّبويِّ، بإدراجِ الهُدْهُدِ في زُمرةِ كاذبينَ كُثُر.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 256، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5449.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 155.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 155.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 363، وابن المنير، الانتصاف: 3/ 363.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 256، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5449.
(6) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 159.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ وجمعِهِ:

الكاذبون كُثُرٌ، والمؤمن بعيد عنهم

تعريفُ ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾؛ للجنسِ، وجمعُهُ لإفادةِ كثرةِ الكاذبينَ، والمعنى: أم انخرطتَ في سِلْكِ جنسِ الكاذبينَ، وهم كثيرٌ، فكنتَ مِنْ جملتِهم؟[1].

علَّةُ تقديمِ الصِّدقِ على الكذبِ:

الأصلُ حُسنُ الظَّنِّ، وذلكم مِنْ أدبِ النُّبوَّةِ

قُدِّمَ الصِّدقُ على الكذبِ في قولِهِ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾؛ لأنَّهُ الأصلُ[2]، ولا يُنافي ذلكَ المبالغةُ المذكورةُ في ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾؛ لأنَّ الأصلَ في المُدَّعي والمُخبِرِ أنْ يُحمَلَ كلامُهُ على الصِّدقِ، يضافُ إلى ذلكَ أنَّ تأخيرَ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيهِ مراعاةُ الفواصلِ.

بلاغةُ الطِّباقِ بينَ الصِّدقِ والكذبِ:

في الجمعِ بينَ الصِّدقِ والكذبِ في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ مراعاةٌ للطِّباقِ، فيرَى السّامعُ صورتينِ متقابلتينِ يتأرجحُ حالُ الهُدْهُدِ بينَهما، وعدل هنا عن الفعل المطابق لما قبلَهُ إلى الاسم؛ لنكتة بلاغية تقدَّمت الإشارة إليها أكثر من مرة، وهي جعْلُهُ واحدًا من الفئة الموسومة بالكذب.

في تقابلِ الصّورتينِ تشويقٌ للمآلِ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الرُّؤيةُ والنَّظرُ:

الصِّدقُ والكذبُ مَظِنَّةُ التَّأمُّلِ والتَّفكُّرِ

فعلُ (رأى) لفظٌ مُشتركٌ بينَ مَعانٍ، يأتي بمعنى: (أبصرَ)، وبمعنى: (عَلِمَ)، وبمعنى: (ظنَّ)، وبمعنى: (حَلَمَ) في المنام، وبمعنى: (ضربَ رئتَهُ)، فهو على أضربٍ بحسَبِ قوَى النَّفْسِ: بالحاسَّةِ، والوهمِ والتَّخيُّلِ، والتَّفكُّرِ، والعقلِ[3]، والنَّظرُ: تقليبُ البصرِ والبصيرةِ لإدراكِ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 379.
(2) أطفيش، تفسير أطفيش: 7/ 289.
(3) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (رأى).

الشَّيءِ ورؤيتِهِ، وقد يُرادُ بهِ التأمُّلُ والرَّويَّةُ، واستعمالُ النَّظرِ في البصر أكثر عند العامَّة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصَّة[1].

والحاصلُ: أنَّ رؤيةَ الشَّيءِ، تعني: إدراكَ حقيقتِهِ بالحاسَّةِ، أو بالوهم والتَّخيُّلِ، أو بالتَّفكُّرِ، أو بالعقلِ، والنَّظرُ تقليبُ البصرِ، والنَّظرُ في الشَّيءِ تدبُّرُهُ وتأمُّلُهُ، والنَّظرُ إلى الشَّيءِ لا يستلزمُ رؤيتَهُ، فالرُّؤيةُ أعمُّ مِنَ البصرِ والنَّظرِ، ومِنْ هنا اختيرَ في الآيةِ لفظُ النَّظرِ؛ لِما فيهِ مِنَ التَّدبُّرِ والتَّأمُّلِ اللَّذينِ يستلزمُهما الحكمُ على الأمورِ.

(1) الراغب، المفردات: (نظر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»